سفر أستير

"سفر العناية الإلهية"

الدرس السـابع

الأصحاح السابع

سـقوط الأقنعـة

"لأَنَّكَ أَنْتَ تُخَلِّصُ الشَّعْبَ الْبَائِسَ، وَالأَعْيُنُ الْمُرْتَفِعَةُ تَضَعُهَا" (مزمور١٨:٢٧)

قد جاء الميعاد، واقترب الوقت، ليضع الرب حداً لكبرياء وغطرسة هامان الشرير.. وإن كان الله يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة (٢ بطرس ٣: ٩). فهو أيضًا وضع للبحر حدًا لا يتعداه، وحجز البحر بمصاريع، وقال له: "إِلَى هُنَا تَأْتِي وَلاَ تَتَعَدَّى" (أيوب ٣٨: ١١)، الله إله قدير "الَّذِي يَجْعَلُ الْعُظَمَاءَ لاَ شَيْئًا، وَيُصَيِّرُ قُضَاةَ الأَرْضِ كَالْبَاطِلِ" (إشعياء ٤٠: ٢٣)، وعد "إِنَّهُ سَيَخْزَى وَيَخْجَلُ جَمِيعُ الْمُغْتَاظِينَ عَلَيْكَ " (إشعياء ٤١: ١١)...

كانت الملكة أستير قد دعت الملك أحشويرش ورئيس وزرائه المفضل "هامان" إلى وليمة أخرى، فجاءا ليشربا الخمر عند أستير الملكة (٧: ١)، وحتى هذه النقطة لم يكونا يعلمان بجنسية أستير وكيف أنها تنتسب للشعب اليهودي الذي صدر مرسومًا ملكيًا بإبادته.. أما عن ولائم الخمر فقد كانت أمرًا متعارف عليه عند الملوك في كل الأزمنة القديمة... فمن بيلشاصر الذي صنع وليمة عظيمة لعظمائه الألوف، وشرب الخمر قدام الألف (دانيال ٥: ١)، إلى سليمان الملك الذي جمع إسرائيل" ومعه جمهور كثير من مدخل حماة إلى وادي مصر أربعة عشر يوما" (١ملوك ٨: ٦٥) وهيرودس الذي عمل في مولده عشاء لعظمائه وقواد الألوف ووجوه الجليل (مرقس ٦: ٢١)

جاء الملك ومعه "هامان" فقال الملك لأستير في اليوم الثاني أيضًا عند شرب الخمر ما هو سؤلك يا أستير الملكة فيُعطى لك وما هي طلبتك. ولو إلى نصف المملكة تقضي (٧: ٢).

لاحظ معي في العدد السابق ما يلي:

١. أنها المرة الثالثة التي يُكرر الملك (ما هو سؤلك... ٥: ٣، ٦، ٧: ٢).

٢. الملك ينادي أستير باسمها لأنها محبوبة إلى قلبه ووجدت نعمة في عينيه (٢: ١٧، ٥: ٢).

٣. يناديها بلقب الملكة ليذكرها بمكانتها ووضعها الملكي.. فهي وإن كانت محبوبة لكنها أيضاً ملكة متوجة.
وهنا يطمئن قلب أستير أكثر وأكثر، فالملك راضي عنها " وَرِضَاهُ كَسَحَابِ الْمَطَرِ الْمُتَأَخِّرِ... بل وَكَالطَّلِّ عَلَى الْعُشْبِ " (أمثال ١٦: ١٥، ١٩: ١٢). ولأن "حَقُّ الإِنْسَانِ فَمِنَ الرَّبِّ" (أمثال ٢٩: ٢٦) فعلمت أستير أن هامان هو الآلة المستخدمة من الشيطان لهلاكها هي وشعبها ف "الزَّارِعُ إِثْمًا يَحْصُدُ بَلِيَّةً، وَعَصَا سَخَطِهِ تَفْنَى" (أمثال ٢٢: ٨)، وبطريقة مؤثرة وحكيمة، ولأنها الملكة المحبوبة تجيب أستير على سؤال الملك في هذه المرة بكلمات قليلة تخترق قساوة وجبروت أحشويرش، قالت: "إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَإِذَا حَسُنَ عِنْدَ الْمَلِكِ، فَلْتُعْطَ لِي نَفْسِي بِسُؤْلِي، وَشَعْبِي بِطِلْبَتِي" (أستير٧:٣)

تتلخص كلماتها فيما يلي:
١. حياتها في خطر تواجه الموت
٢. تطلب الإنقاذ لكي لا تقتل هي وشعبها

ظهرت شجاعة أستير في تشفعها عن نفسها وعن شعبها، ربما قضت أيام تتمرن على هذه الجملة، فهي تعلم من البداية أنها تخاطر بحياتها، ولهذا طلبت الصلاة لأجلها وقد جاء دورها الآن لتتشفع لأجل نجاة أمة بأكملها...
هل سمعتي يا أستير كلمات المرنم آساف حين قال: "قَالُوا فِي قُلُوبِهِمْ: 'لِنُقْنِيَنَّهُمْ مَعًا!'. أَحْرَقُوا كُلَّ مَعَاهِدِ اللهِ فِي الأَرْضِ.. قَالُوا: 'هَلُمَّ نُبِدْهُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ، وَلاَ يُذْكَرُ اسْمُ إِسْرَائِيلَ بَعْدُ' "(مزمور ٧٤: ٨، ٨٣: ٤). فامتلأ قلبك بشجاعة إيمانية لكي تقفي في الثغر عن شعبك، أم تشددت كأنك تري من لا يُرى كما فعل موسى عبد الرب أمام فرعون..

"اَللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا" (غلاطية ٦: ٧)
استمع الملك لكلمات أستير... فبادرها متساءلاً "مَنْ هُوَ؟ وَأَيْنَ هُوَ هذَا الَّذِي يَتَجَاسَرُ" (٧: ٥) فقالت أستير هو رجل خصم وعدو هذا هامان الردي.. و "لأَنَّ اللهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَلٍ إِلَى الدَّيْنُونَةِ، .. إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا" (جامعة ١٢: ١٤)، ارتاع هامان أمام الملك والملكة، قد استنفذ فرص التحذير، التي جاءته أكثر من مرة.. من خلال الظروف، ومشيريه، وزوجته ولم يستمع.. "مَكْرَهَةُ الرَّبِّ كُلُّ مُتَشَامِخِ الْقَلْبِ" (أمثال ١٦: ٥)، وقبل السقوط تشامخ الروح، و "الْحَارِثِينَ إِثْمًا، وَالزَّارِعِينَ شَقَاوَةً يَحْصُدُونَهَا" (أيوب ٤: ٨)، لن يظل المكتوم مكتومًا ولا الخفي خفيًا (لوقا ١٢: ٢) ولكن "لأَنَّ الْقَضَاءَ عَلَى الْعَمَلِ الرَّدِيءِ لاَ يُجْرَى سَرِيعًا، فَلِذلِكَ قَدِ امْتَلأَ قَلْبُ بَنِي الْبَشَرِ فِيهِمْ لِفَعْلِ الشَّرِّ" (جامعة ٨: ١١).
ولكن هل نسى الملك المرسوم الصادر بإبادة اليهود ولهذا يسأل من المتجاسر؟ هل جاءت كلمات أستير كجرس إنذار، وناقوسًا يدق للإنذار والتنبيه قبل وقوع الكارثة.
كانت كلمات بسيطة من أستير ولكن "ارْتَعَبَ فِي صِهْيَوْنَ الْخُطَاةُ. أَخَذَتِ الرِّعْدَةُ الْمُنَافِقِينَ" (إشعياء ٣٣: ١٤)، انكشفت المؤامرة الشريرة، وانطرح هامان عند قدمي أستير، ربما طالبًا العفو أو لكي تتشفع له أمام الملك: هكذا الأشرار " يَلْحَسُونَ التُّرَابَ كَالْحَيَّةِ، كَزَوَاحِفِ الأَرْضِ. يَخْرُجُونَ بِالرِّعْدَةِ مِنْ حُصُونِهِمْ، " (ميخا ٧: ١٧) ويخرج الملك لحديقة القصر قليلاً وعند رجوعه يجد هامان منطرحًا عند قدمي أستير الملكة، فربما ظن أنه يريد بها شرًا. وكان الرعب قد ملأ قلب هامان فجاءت تصرفاته بلا تعقل. "لأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ: 'سَلاَمٌ وَأَمَانٌ'، حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلاَكٌ بَغْتَةً، كَالْمَخَاضِ لِلْحُبْلَى" (١تس ٥: ٣) اشتعل غضب الملك، وأدرك هامان أن رياح الغضب والانتقام التي زرعها سيحصدها فورًا، إذ على الملك أن يجد طريقة سريعة لإنقاذ ملكته المحبوبة.. صدر الأمر بأن يُصلب هامان على نفس الخشبة التي أعدها لمردخاي.

بعض الدروس الروحية من هذا الإصحاح: لأَنَّ كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لأَجْلِ تَعْلِيمِنَا (رومية ١٥: ٤)،

- تفاخر الملوك القدماء بعظمة ولائمهم، وجاء ملك الملوك (رؤيا ١٩: ١٦) سيد الأرض كلها وقال " مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ " (يوحنا ١٨: ٣٦)، وحين صنع له لاوي ضيافة عظيمة، الذين كانوا متكئين معه كانوا جميعًا من العشارين والخطاة .. بل وعلمنا قائلاً: "إِذَا صَنَعْتَ ضِيَافَةً فَادْعُ: الْمَسَاكِينَ، الْجُدْعَ، الْعُرْجَ، الْعُمْيَ فَيَكُونَ لَكَ الطُّوبَى إِذْ لَيْسَ لَهُمْ حَتَّى يُكَافُوكَ... (لوقا ١٤: ١٣، ١٤) ولا يزال يقرع على الباب، باب قلبك يريد أن تفتح له ليدخل إليك ويتعشى معك.. يريد أن يأتي ويصنع عندك منزلاً. (يوحنا ١٤: ٢٥).
- انكشفت مؤامراة هامان واتضح شره للجميع وحكم عليه بالموت.. وهذا ما فعله الرب بموته على الصليب. إذ جرد الرياسات والسلاطين وأشهرهم جهاراً (فضح أمرهم) ظافرًا بهم فيه (كولوسي ٢: ١٥)، "أَلْعَدُوُّ تَمَّ خَرَابُهُ إِلَى الأَبَدِ.... بَادَ ذِكْرُهُ نَفْسُهُ" (مزمور ٩: ٦)، هل نسبح الرب مهللين لما صنعه لنا؟ هل نفرح بالفداء الأبدي المقدم لنا بالنعمة؟
- حصد هامان ما زرعه من شر في الخفاء، فقوانين الزرع والحصاد لا يمكن تجاهلها، "لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا" (غلاطية ٦: ٨)، زرع يعقوب كذبًا حين قتل حيوان وخدع اسحق أبيه لينال البكورية (تكوين ٢٧: ١ ـ ٢٩)، وبعد مرور سنوات خدعه بنيه بعد أن ذبحوا حيوانًا وادعوا موت يوسف (تكوين ٣٧: ٣١)، أمر

فرعون أن يقتل أولاد العبرانيين الذكور عند ولادتهم، وأمر الرب بقتل كل بكر للمصريين (خروج ١، خروج ١٢)، اما داود فقد زنى وقتل (٢صموئيل ١١، ١٨) ويُقتل أولاده الثلاثة وتُغتصب ابنته، وسراريه أيضاً (٢صموئيل ١٦: ٢٠ ـ ٢٣، ٢ صموئيل ١٣).

- أما شاول الذي هو بولس فقد كان واقفًا يحرس ثياب الذين رجموا استفانوس، ولكن بولس صار خليقة جديدة في المسيح يسوع وأيضًا كما يقول قد فعلت ذلك بجهل. وبعد مرور سنوات واجه نفس الأمر فقد رُجِم هو أيضًا ولكن بلا أذى مدمر لأنه استطاع أن يقوم ويُكمل عمله بعد ذلك. و لأن الحصاد دائمًا من نفس نوع البذار التي تُغرس كما قال الرب "كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تِلْمِيذٍ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ" (متى ١٠: ٤٢، ٢٥: ٣١ ـ ٤٦).

للدراسة الشخصية :

١. فرعون (خروج ١٥: ٤)، وسنحاريب (٢ أخبار الأيام ٣٢: ١)، نبوخذنصر (دانيال ٤: ٣٣)، جميعهم أرادوا إبادة شعب الله مثل هامان، ما هي نهايتهم.